أم سليم الأنصارية

رضي الله عنها

obeikandl.com

obeikandl.com

أم سُلَيْم الأنصارية

قال لي ولدي: ومَن التي بُشِّرت بالجنة أيضاً يا أبي؟

قلت: إنها أم سُلَيْم الأنصارية يا بني، والدها: ملحان بن خالد أحد أنصار الخزرج، وأمها: مليكة بنت مالك، وأما زوجها فيدعى: مالك بن النضر، وكان ولداها: أنس والبراء من كبار صحابة رسول الله ﷺ.

قال: حدثني عن إسلام أم سُلَيْم يا أبي، وماذا كان اسمها؟

قلت: كان اسمها: الرميصاء أو الغميصاء أسلمت بعد مقدم سفير رسول الله ﷺ إلى المدينة ليعلم أهلها الإسلام، ويفقههم في الدين، ويقرأ عليهم القرآن، ثم بايعت رسول الله ﷺ مع نساء الأنصار اللواتي بايعنه، وتم دخولها في الإسلام أثناء سفر زوجها مالك في تجارة له، فلما عاد من رحلته، علم بإسلامها، فعنفها وقال لها: أصبوت؟ فردت عليه بقولها: لا، ولكني آمنت.

وكانت ترقص صغيرها أنساً وتلقنه الشهادة، فتقول له: يا أنس، قل: أشهد أن لا إله إلاّ الله، فيرد عليها: أشهد أن لا إله إلَّا الله، فتقول: يا أنس، قل: أشهد أن محمداً رسول الله، فيقول: أشهد أن محمداً رسول الله، حتى أتقنها، وكان زوجها

مالك يسمعها وهي تفعل ذلك، فيقول لها بحدّة وغضب:

لا تفسدي عليَّ ابني، فترد بقولها: إني لا أفسده.

وكان الإسلام سبب الخلاف الذي قام بينهما، حتى انطلق مالك ذات مرة في سفر له ـ وهو لها مخاصم ـ فخرج عليه من قتله وأصبحت أم سليم أيِّماً، فانصرفت إلى تربية أنس وراحت تقول: لن أفطمه حتى يترك ثديي من تلقاء نفسه، ولن أتزوج حتى يأمرني أنس.

وبدأ أنس ينمو ويكبر، ثم جاءت به إلى رسول الله ﷺ فسألته أن يدعو له، ويجعله في خدمته، فقبّله رسول الله ﷺ ودعا له أن يكثر الله ماله وولده، فأصبح واحداً من أثرياء المدينة المعدودين، وصار له من الولد وولد الولد ما زاد على المائة، وذلك ببركة دعاء رسول الله ﷺ له.

قال: وماذا كان من شأن أم سليم بعد يا أبي؟

قلت: كانت أم سليم سيدة فاضلة، ولها من رجاحة العقل وصفات الفضل، ما يجعلها مَطمحاً لكثير من سادة الأنصار ورجالهم بعد أن قُتِل زوجها، وكان زيد بن سهل النجَّاري، ويكنى: بأبي طلحة يود الزواج، فلما علم أن أم سليم قد أصبحت أيِّماً لا زوج لها، قرَّر ألا يسبقه أحدٌ إلى خطبتها، وقدَّر أنها لن ترفض طلبه، وهو السيد الثري الذي يستطيع أن يقدم من الأصفر والأبيض ـ الذهب والفضة ـ ما تشتهيه ـ كما أن له من حسن السمعة والجاه في قومه مالا تفكِّر عاقلة بردِّه. إضافة إلى أنه محارب يحسن الرمي ويجيد صنوف القتال.

وحزم أبو طلحة أمره، ثم انطلق إلى دار أم سليم فاستأذن

عليها، وكان ابنها أنس عندها، فأذنت له.

ولما عرض أبو طلحة عليها الزواج، قالت له: ما أظن أن مثلك يرد يا أبا طلحة، لكن فيك شيئاً واحداً يحول دون زواجنا.

وظن أبو طلحة أن قد سبقه إليها خاطب آخر وعرض عليها مهراً كبيراً لا يستطيع هو أن يدفعه أو يزيد عليه فقال لها: يا أم سليم، إنني رجل أملك ثروة كبيرة، وسأجعل صَداقك ـ مهرك ـ من الذهب والفضة، ما يعجز الآخرون عن تقديم مثله.

وابتسمت أم سليم؛ لأن تفكير أبي طلحة سار في اتجاه مغاير لتفكيرها، قالت له: إنما يمنعني من قبولك أمر آخر غير المال يا أبا طلحة.

قال لها: وما هو؟ وسأعطيك إياه مهما كلفني ذلك من ثمن.

قالت: يا أبا طلحة، إنما أنت رجل مشرك، وأنا امرأة مسلمة لا يصح أن أقترن بمثلك، ثم أتبعت كلامها بقولها:

ألم تعلم يا أبا طلحة أن إلٰهك الذي تدين به، وتعبده من دون الله قد خرج من الأرض؟ قال: بلى، قالت: أفلا تخجل يا أبا طلحة أن يكون جذع الشجرة إلٰهاً لك، وغيرك يخبز عليه العجين أو يتخذه وقوداً ليطهو عليه الطعام أو يستدفئ بناره أيام البرد الشديد؟

وجد أبا طلحة أن كلام أم سليم على الرغم من قسوته يفيض بالصدق، ولا يعدو سبيل الحق، ثم قال: وأي مهر يرضي يا أم سليم؟ قالت: الإسلام، ولا شيء سواه، فإن أسلمت قبلت الزواج منك دون ذهب ولا فضة.

وانطلق أبو طلحة إلى رسول الله ﷺ ليعلن إسلامه بين يديه، وتم الزواج السعيد، فقالت نساء الأنصار: ما عرفنا مهراً أكرم من مهر أبي طلحة لأم سليم، فلقد كان صداقها الإسلام.

حقاً! إنه لنِعم الزواج، ما دام قد بُني على أمتن أساس، وهل هناك أصلح من الإسلام ليكون أساساً لزواج متين وسعيد؟

إن الإسلام معين الفضائل ومنبع المكارم كلها، وما أحسب أن ديناً حقق لأبنائه السعادة التي ينشدونها كما فعل الإسلام، وأي عجب في ذلك؟ وقد قال الله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

قال: ألا تخبرني شيئاً عن فضل أم سليم يا أبي؟

قلت: بلى يا بني، كان رسول الله ﷺ لا يدخل على أحد من أزواجه، إلا أم سليم، فإنه كان يدخل عليها، فقيل له في ذلك، فقال: «**إني أرحمها، قتل أخوها معي**»، [رواه مسلم في صحيحه برقم ٢٤٥٥/ ١٠٤].

وروى أنس عن النبي ﷺ قال: «**دخلت الجنة فسمعت خَشْفَةً** ـ أي: صوتاً ـ **فقلت: من هذا؟ قالوا: هذه الغميصاء بنت ملحان أم أنس بن مالك**»، [رواه مسلم برقم ٢٤٥٦ / ١٠٥].

فأيُّ فضل أدرك، وأي شرف أصاب أبو طلحة بهذا الزواج المبارك من الغميصاء أم أنس رضي الله عنهما؟.

قال: لقد أخبرتني يا أبي أن أم سليم كانت ذات عقل راجح هيأ لها حسن التصرف وسداد التدبير، فما الدليل الذي دعاك إلى وصفها بذلك يا أبي؟

قلت: إي والله يا بني، إنها لكذلك، فقد زان عقلها حكمة بالغة تجعل تصرفاتها مبرأة من العيب والنقصان، وهاك مثالاً يكشف لك حكمتها فيما يعرض لها من الأمور المفاجئة، وكيف عالجتها بحكمة واقتدار؟

كان لأبي طلحة طفل صغير أحب إلى نفسه من كل شيء يهواه، وكانت أم سليم تربيه وترعاه، وفيما كان أبو طلحة يمارس عمله خارج المنزل، مات الطفل، فأوصت أم سليم مَن في المنزل ألَّا يخبروا أبا طلحة بما أصابه، ولما أنجز أبو طلحة عمله، وصلى العشاء في المسجد، انقلب إلى بيته فوجد أم سليم قد هيَّأت له عشاءه وتزينت له كأحسن ما تكون، فلما سألها عمَّا كان أمر الغلام، أخبرته أنه خير ما كان، ثم قدمت له العشاء، فأكل، حتى إذا شبع قاما إلى النوم، وحين استيقظا قالت له:

علمت أن جيراناً لنا يا أبا طلحة استعاروا عاريّة، فلما طولبوا بها أنكروها وامتنعوا عن ردها فهل لهم عذر فيما صنعوا؟

فأجابها أبو طلحة: لا عذر لهم، وبئس ما صنعوا! فقالت له أم سليم: لقد كان ابنك عاريّة من الله شاء أن يستردها، وقد فعل فاسترجع ـ قال: إنا لله وإنا إليه راجعون ـ أبو طلحة، ثم انطلق إلى رسول الله ﷺ، وروى له ما كان من صنع أم سليم فقال له رسول الله ﷺ: «**بارك الله لكما في ليلتكما!**»

واستجاب الله لدعوة رسول الله ﷺ، فحملت أم سليم، ثم وضعت مولوداً ذكراً، فأمرت ابنها أنساً أن يحمل أخاه

الصغير إلى رسول الله ﷺ حتى يحنكه ويسميه. وانطلق أنس بأخيه، ومعه بعض التمر، فلما رآه رسول الله ﷺ مقبلاً قال له: «**هل معك تمر؟**» قال له: نعم، فأخذ التمرات وجعلهن في فيه ثم لاكهن، ثم فتح فم الصغير وجعل بعض ما مضغه فيه، فأخذ الصبي يتلمظ ويمص شفتيه، فقال رسول الله ﷺ: «**أبت الأنصار إلا حب التمر**»، ثم سماه: عبد الله، وأعاده إلى أمه.

وكانت أم سليم تتعرض لبركة رسول الله ﷺ في كل مناسبة وقد قالَ ـ نام ـ في بيتها، على جلد فعَرِق ﷺ، فجاءت أم سليم وراحت تسلت العرق عن الجلد، واستيقظ رسول الله ﷺ، وسألها عما تصنع، فقالت: هذا عرقك أجمعه لأجعله في طيبي.

وذات مرة زارها رسول الله ﷺ، فرأى عندها قربة ماء معلقة وقد اتخذتها سقاء، فشرب منها ﷺ، فقامت أم سليم إلى السقاء وقطعت فمه، واحتفظت به.

ولما حلق رسول الله ﷺ رأسه بِمنًى، حمل أبو طلحة الشعر إلى أم سليم فخبأته لديها، رغبة في بركته.

قال ولدي: أود يا أبي أن تروي لي شيئاً عن جهاد كل من هذين الزوجين الصحابيين الرائعين، وكيف كان سخاؤهما؟

قلت: بكل سرور يا بني، كانت علاقة رسول الله ﷺ بأسرة أبي طلحة وطيدة جداً، وقد وضع أبو طلحة سيفه في خدمة رسول الله ﷺ، كما وضع ماله لتجهيز الغزوات وسد حاجات المسلمين، وكان أبو طلحة يبغي من وراء بذله مرضاة ربه ورسوله ﷺ، وقد كان له بستان كبير مليء بالأشجار،

المثقلة بأشهى الثمار، وبينما هو يصلي ذات يوم فيه رأى طائراً غِرِّيداً على الشجرة وكان زاهي الألوان، فأعجبه النظر إليه لشدة جماله، وشرد ذهن أبي طلحة حتى لم يعد يذكر كم صلى من الركعات، فلما فرغ من صلاته أسرع إلى رسول الله ﷺ، وحكى له ما حدث معه، وكيف ألهاه الطائر الجميل عن صلاته، ثم قال: أشهدك يا رسول الله أني قد جعلت بستاني هذا صدقة لله تعالى، فضعه حيث تريد.

إن مثل هذا السخاء المفرط لا يصدر إلا عن محب صادق لله ولرسوله ﷺ، موقن بأن ما عند الله خير وأبقى.

وأما الجهاد فقد بلغ أبو طلحة أوجه يوم «أُحُد»، فبعد أن خالف رماة المسلمين أوامر رسول الله ﷺ، وغادروا مواقعهم رغبة في الوصول إلى الغنائم والأسلاب التي ملأت ساحة المعركة، كان لا بد أن ترجح كفة النصر لمصلحة المشركين بعد أن كانت لمصلحة المسلمين، وصار المسلمون يفرون لا سيما حين أشاع أحد المشركين أن رسول الله ﷺ قد قتل.

وكان رسول الله ﷺ قد شجّ رأسه وكسرت رباعيته وجرحت شفته، وسال الدم على وجنتيه الشريفتين، وعند ذلك أحاط به نفر من الصحابة الكرام رضي الله عنهم إحاطة السوار بالمعصم وقد شهروا سيوفهم، وحالوا بصدورهم دون وصول أحد من المشركين إليه.

وكان أبو طلحة أحد الذين تترس بهم رسول الله ﷺ يومئذٍ، وراح أبو طلحة يمطر المشركين بوابل من سهامه، ورسول الله ﷺ يتطاول من خلفه، ليرى أين تسقط سهامه، وكان أبو طلحة يقول: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، لا تشرف عليهم

حتى ينالك أذاهم، جعلني الله فداك، فإذا مر به أحد المسلمين الفارين قال له النبي ﷺ:

«انثر سهامك بين يدي أبي طلحة ولا تمض بها هارباً».

واستمر أبو طلحة يرمي ويرمي دفاعاً عن رسول الله ﷺ حتى كسر ثلاثة أقواس، وقتل عدداً كبيراً من أعداء الله والدين وحده، يقدّر عددهم بعشرين.

وجاء يوم «حنين» وخرج الزوجان العظيمان مع رسول الله ﷺ لمجاهدة المشركين، وكانت أم سليم على جمل لأبي طلحة، فلما رآها رسول الله ﷺ ناداها: **«أم سليم»** قالت: نعم، بأبي أنت وأمي يا رسول الله، اقتُلْ هؤلاء الذين يفرون عنك كما تقتل هؤلاء الذين يقاتلونك، فإنهم لذلك أهل، فقال رسول الله ﷺ: **«أو يكفي الله يا أم سليم!»**.

وكان معها خنجر في يدها، فقال لها أبو طلحة: ما هذا الذي معك يا أم سليم: قالت: خنجر أخذته معي، إن دنا مني أحد من المشركين بعجت بطنه به، فقال أبو طلحة: ألا تسمع ما تقول يا رسول الله!.

ويقول جبير بن مطعم: لقد رأيت قبل هزيمة القوم ـ أي المشركين ـ والناس يقتتلون مثل البِجَادِ ـ الكساء ـ الأسود، أقبل من السماء حتى سقط بيننا وبين القوم، فنظرت فإذا نملٌ أسود مبثوث قد ملأ الوادي، فلم أشك أنها الملائكة، ولم يكن إلا هزيمة القوم.

قال تعالى: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ

رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ يَتُوبُ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٧﴾﴾ [التوبة: ٢٥ ـ ٢٧].

وهكذا أمدّ الله رسوله بملائكته ونصر المسلمين، وهزم الكافرين والحمد لله رب العالمين.

قال ولدي: زِدني حديثاً عن فضل أم سليم يا أبي؟

قلت: كانت أم سليم تحفظ الأحاديث التي تسمعها من رسول الله ﷺ، ثم ترويها، وقد أخذ عنها عدداً من الأحاديث بعض الصحابة ورووها عنها، وكان من جملة مَن رووا عنها: ولدها أنس بن مالك، وعبد الله بن عباس، وعمرو بن عاصم الأنصاري، وزيد بن ثابت، وعبد الرحمٰن بن عوف ذلك الفضل من الله يؤتيه من يشاء.

وروى عطاء عن أم سليم الأنصارية: قال لها النبي ﷺ: «**ما لأم سليم لم تحج معنا العام؟**» قالت: يا نبي الله، كان لزوجي ناضحان، فأما أحدهما فحج عليه، وأما الآخر فتركه يسقي عليه نخله قال: «**فإذا كان رمضان أو شهر الصوم فاعتمري فيه، فإن عمرة فيه مثل حجة، أو تقضي مكان حجة**».

وظلت أم سليم تقطع أيام حياتها بين الصيام والقيام والجهاد حتى أدركها هاذم اللذات ومفرق الجماعات، فباتت في ذمة الله، الذي لا أحد يرحم ـ عباده ـ سواه.

وعُمِّرَ أبو طلحة حتى أدرك خلافة ذي النورين عثمان بن عفان رضي الله عنه، فلما جهز عثمان جيشاً لغزو البحر أراد أبو طلحة أن يخرج مع ذلك الجيش ـ وقد تقدمت به السن ـ فقال له أبناؤه: دعنا نذهب بدلاً عنك، فقد آن لك أن ترتاح، لكنه أبى،

وبينا هو في عرض البحر أصابه المرض فمات، وظل أصحابه سبعة أيام يبحثون عن جزيرة يدفنونه فيها حتى وجدوها، وكان مسجًّى كأنه النائم ولم يغير فيه شيء.

رحم الله أبا طلحة وأم سليم ولقَّاهما عنده نضرة وسروراً.

obeikandl.com